ISSUE : 5 March 2026
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
Afaq Journal for Human and Applied Studies

العـدد : الخـامس مـارس 2026
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
مجلـة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية

دورُ تفاعلِ المظاهرِ الحضاريّةِ البحرِ المتوسطيةِ والمظاهرِ الحضاريّةِ المحليّةِ في تكوين مجتمعِ إقليمِ طرابلسَ خلالَ العصرِ الحفصيّ

د. فرحات محمد بكار*.

تاريخ الاستلام: 2025/09/17	تاريخ القبول: 2025/10/15	تاريخ النشر: يونيو/2026م

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع: دور تفاعل المظاهر الحضارية البحر المتوسطية والمظاهر الحضارية المحلية في تكوين مجتمع إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي، تنقسم هذه الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول بعنوان: المظاهر الحضارية البحر المتوسطية الدولية، والمبحث الثاني عنوانه: المظاهر الحضارية المحلية.

The Influence of Mediterranean and Regional Cultural Elements on the Development of Tripolitania's Society in the Hafsid Period

*. Dr. Farhat Muhammad Bakkar.

Abstract:

This research focuses on the influence of Mediterranean civilizational elements and local civilizational features in shaping the society of the Tripoli area during the Hafsid period. This research is organized into three parts: the initial part is titled: International Mediterranean cultural dimensions, and the second part is titled: Local cultural dimensions.

*. أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة بنغازي.

* *Professor of Islamic History and Islamic Civilization, Faculty of Arts, University of Benghazi.*

* ***corresponding author:*** *Dr. Farhat Bakkar.*

المؤلف الرئيسي: د. فرحات بكار.

DOI:https://doi.org/10.37376/ajhas.vi5.7659

Copyright©C2024University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens.

المقدمة

تزايد الاهتمام من قبل الباحثين والمؤرخين الليبيين المتخصصين في دراسة التاريخ الوسيط والإسلامي بدراسة تاريخ أقاليم طرابلس، برقة، فزان (المكونة ليبيا الحالية) في السنوات الأخيرة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأقاليم، وهناك الكثير من القضايا التاريخية في تاريخ أقاليم طرابلس، وبرقة، وفزان الوسيط والإسلامي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي لا تزال محل البحث والنقاش ومزيد من الدراسات الحديثة ذات الجدة والأصالة، والتي تحتاج إلى دراسة شاملة تتناول الأنشطة الاقتصادية والأنماط والخدمات الاجتماعية، والتأثير والتأثر المتبادل بين الاقتصاد والمجتمع وما يترتب على ذلك من تشكيل للمستويات المعيشية للناس، والخوض كذلك في التنظيمات الاجتماعية الطبقية والفئوية، تستخدم فيها أدوات المناهج الحديثة من تحليل النص التاريخي ومحيطه، والمقارنة بين النصوص التاريخية مع بعضها البعض.

لذا وقع اختيارنا على هذا الموضوع عنواناً لهذه الدراسة، وهذا الموضوع هو: دور المظاهر الحضارية البحر المتوسطية والمظاهر الحضارية المحلية في تكوين مجتمع إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي.

المبحث الأول

المظاهر الحضارية البحر المتوسطية الدولية

1- فرض سيادة الدولة الحفصية في إقليم طرابلس:

ترتب على قيام الدولة الحفصية في أقاليم المغرب الأدنى (قسطنطينة، إفريقية، طرابلس) أن نَعِمَ إقليم طرابلس بقدر كبير من الحماية بفضل سياسات الدولة الأمنية، والإستراتيجية، حيث تمكنت الدلة الحفصية من إيجاد سلطة مركزية قوية قوضت الفراغ السياسي، وأقرت الأمن والاستقرار في أقاليم قسطنطينية، وإفريقية، وطرابلس، تمتلك قوة عسكرية قادرة على ردع الثائرين والمغامرين؛ لذلك تمكن سكان إقليم طرابلس في ظل هذا الأمن والاستقرار من الاتجاه إلى البحر المتوسط وممارسة مهنة التجارة البحرية والقرصنة والصيد البحري (الزاوي، 1985م، ص350-348).

أصبحت المهن والأنشطة التجارية البحرية، وعمليات القرصنة من أكثر المصادر الاقتصادية توفيرٍ للأرزاق والموارد المالية لأهالي الإقليم، خاصة أن الإقليم يتميز بشواطئ طويلة الامتداد على الضفة

الجنوبية للبحر المتوسط (التجاني، 1968م، ص258)، بالإضافة إلى انفراد هذه الشواطئ بالدور المحوري في ربط شواطئ الشام ومصر مع شواطئ إفريقية والمغرب، وربط هذه الشواطئ بصقلية ومالطا، وسواحل شبه الجزيرة الإيطالية (روسي، 1991م، ص155).

تعود عمليات العلاقات التجارية والتبادل التجاري بين طرابلس ودول أوروبا إلى عصر الأغالبة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، واستمرت هذه العلاقات خلال العصر الحفصي في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، وفي العصر الموحدي عقدت أولى المعاهدات التجارية بين طرابلس وبيزا، ومع بدايات العصر الحفصي أبرم أول سلاطين الدولة الحفصية ومؤسسها أبو زكريا يحيى بن أبي محمد (625-647م/1228-1249م) معاهدة تجارية سنة (634هـ/1234-1236م) مع بيزا وجنوة، حيث تحصلتا بموجبها على حق إنشاء أحياء وفنادق للتجار البيزاويين والجنويين لإدارة الوكالات التجارية الخاصة في طرابلس وقابس والمهدية، وصفاقس، وعينت السلطات البيزاوية والجنوية قناصل في طرابلس لإدارة شؤون تجارهم والأحياء والفنادق والوكالات التجارية التابعة لهؤلاء التجار (روسي، 1991م، ص129؛ كاميللو مانغروفي، د.ت،ن ص45-44).

وبموجب هذه المعاهدات والاتفاقيات التجارية التي أُبرمت مع طرابلس خلال العصر الحفصي مع بيزا وجنوة تمتعت الجاليات التجارية لهاتين المملكتين الإيطاليتين بإعفاءات جمركية، وتوفير الأمن داخل الفنادق والأحياء (الدرسي، 2013م، ص96)، والتسهيلات في عملية التصدير والاستيراد (مانغروفي، د.ت، ص45).

في واقع الأمر يبدو أن مينائي مصراته وزليتن كانا يتميزان بالنشاط التجاري من خلال العلاقات التجارية مع بيزا وجنوة.

2- الأثر الحضاري لاقتصاد البحر المتوسط على إقليم طرابلس:

أ- التجارة البحرية:

كان سكان إقليم طرابلس يعيشون على البحر المتوسط، إلا أن مدينة (اطرابلس) تظهر لنا من خلال التسجيلات والمشاهدات الجغرافية للجغرافيين والرحالة المسلمين خلال العصور الإسلامية وصولاً إلى العصر الحفصي، ما يدل على أنها ارتبطت بالبحر المتوسط وخاصةً خلال عصور الأغالبة، الفاطميين، والزيريين، والموحدين، والحفصي أكثر من المدن الطرابلسية الأخرى، ويبدو

أنها قد حافظت حتى العصر الحفصي على شكلها الروماني حسب مخطط شطرنجي، تخترقها طولاً وعرضاً شوارع نظيفة، وفيها العديد من الأسواق والحمامات (التجاني، 1958م، ص238، 258)، وكما أسلفنا الذكر أن مدينة اطرابلس تواجدت فيها العديد من الأحياء والفنادق الخاصة بجاليات تجار الدول والمدن الأوروبية (مانغرفي، د.ت، ص45-44)، وهذا يدل على أن مدينة اطرابلس كانت مدينة بحرية كبيرة إلا أنها ثانوية الارتباط بدائرة المظاهر الحضارية والثقافية للبحر المتوسط خلال العصر الحفصي، وتعدّ من أكثر مدن المغرب الأدنى ارتباطاً بالبحر المتوسط، وأكثرها اندماجاً في دائرة التأثر بالمظاهر الحضارية للبحر المتوسط هي مدينة تونس بإقليم إفريقية ومدينة بجاية بإقليم قسطنطينة، وعلى الرغم ممّا جاء في مشاهدات وتسجيلات العبدري في رحلته (العبدري، 1968م، ص39) من استصغار مدن أقاليم المغرب الأدنى، فقد كان له رأي مخالف بالنسبة لمدينة تونس؛ لكونها عاصمة السلطنة الحفصية، فهي بدون شك أكبر مدينة في إقليم المغرب الأدنى التي قال عنها: "إنها مطمح الآمال ومصاب كل برق ومحط الرحال من الشرق والغرب وملتقى الركاب والفلك ...وفاقت بحسن معانيها وإتقان مغانيها غيرها من المدن"، أما فيما يخص بجاية فهي عاصمة إقليم قسطنطينة (الزاب) خلال العصر الحفصي وعادةً لا يتولاها إلا الأمراء الحفصيون، ويصفها العبدري (العبدري، 1968م، ص26) بأنها: "مبدأ الإتقان والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة"، ويُعرفها البلوي (البلوي، 1964م، ج1، ص157) بأنها: "حاضرة البحر ونادرة الدهر"، وبذلك تعدّ مدينتا تونس وبجاية أكبر مدن المغرب الأدنى خلال العصر الحفصي وأكثرهما اندماجًا مع دائرةالمظاهر الحضارية للبحر المتوسط من خلال تعدد الجماعات العرقية، وتلاشٍ شبه كامل للعصبيات القبلية، وكثرة السكان، وممارسة أنشطة التجارة والصناعة، وظهور فئة المجهولية على الرغم من التحريم والعقوبات، وشدة مراقبة الفقهاء والعلماء فإنه تمارس المحرمات من تعاطي الموسيقى، والغناء، والمخدرات، والتحول الجنسي (التخنث)، وشرب الخمر، وارتكاب الزنا، ظهور فئة المجهولية من ممارسين مهنة التجارة، في مخالفة العلماء والفقهاء، وبيع معدن الحديد والبارود والأخشاب للتجار الأوربيين مواد خام أولية لصناعة الأسلحة، أما مدن مصراته، وزليتن، وقابس في إقليم طرابلس (ابن خليل، 1936م، ص37)، والمهدية، وسوسة، والمنستير، وبنزرت، وصفاقس، والحمامات في إقليم إفريقية (العبدري، 1968م، ص939-238؛ الوزان، 1983م، ج2، ص83)، وبونة (عنابة) في إقليم الزاب (العبدري، 1968م، ص37)

فهي مدن ساحلية يمارس سكانها التجارة البحرية، إلا أنها استقلت من دائرة المظاهر الحضارية للبحر المتوسط، وسادت فيها مظاهر حضارية محلية، فكانت القبائل فيها هي الهيكل السياسي والاجتماعي، وكان سكانها خاضعين إلى تعاليم العلماء والفقهاء وأوامرهم ومراقبتهم، متمسكين بالمبادئ والتعاليم، والعقائد الإسلامية، والأعراف والعادات والتقاليد، وهي مدن متواضعة صغيرة الحجم.

أما مدينة إطرابلس فإن سكانها يمتهنون التجارة البحرية واستفادوا من التجارة البحرية والقرصنة (التجاني، 1958م، ص258)، وهي مدينة كثيرة السكان كبيرة الحجم تلي في ذلك مدينتي تونس وبجاية، وتليهما كذلك في الاندماج في دائرة المظاهر الحضارية للبحر المتوسط، فهي من نوع المدن المتعددة الأعراق، حيث نجد فيها الأحياء والفنادي الخاصة بالتجار الأوروبيين من مختلف الجنسيات، إلا أن مدينتي تونس وبجاية تتميزان بتوازن الطوائف العرقية وضعف العصبيات القبلية فيهما، أما مدينة اطرابلس فقد تمركزت فيها العصبيات القلية وانتمت إلى المدن الساحلية الصغيرة في المغرب الأدنى ذات العصبيات القبلية التي عُرفت باسم المشيخات، كما دخلت اطرابلس في دائرة الخضوع التام إلى مراقبة العلماء والفقهاء، وكانت نسبة فئة المجهولية فيها ضئيلة مقارنةٍ بمدينتي بجاية وتونس على الرغم من أن مدينة اطرابلس عاصمة الإقليم (ابن القنفذ، 1968م، ص194).

في نهاية المطاف نُدرك أن مدينة اطرابلس قامت على التوازن بين مدنية البحر المتوسط والظواهر المحلية التي فرضتها عصبيات قبائل بني سُليم، أما باقي مدن وبلدات إقليم طرابلس فهي محلية المظاهر الحضارية.

ب- القرصنة:

كانت مدينة تونس، ومدينة بجاية، ومدينة اطرابلس أكثر مدن المغرب الأدنى نشاطاً في عمليات القرصنة والاستفادة منها (العمري، د.ت، 9)، حيث تطورت عمليات القرصنة في هذه المدن إلى شكل تنظيمي (روسي، 1991م، ص158)، وتحولت إلى مؤسسة حقيقية وحكومية تتبع السلطات الحفصية، وأنشأوا في هذه المدن قواعد بحرية للغزو والإغارة على الجزر والبلدان الأوروبية المسيحية رغم الهدنة واتفاقيات الصداقة، والاتفاقيات التجارية مع الدول الأوروبية البحرية، وفي المقابل أنشأت الدول الأوروبية البحرية قواعد بحرية للغزو والإغارة في الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط على شواطئ بلدان المغرب في جنوب البحر المتوسط، غير أن الغزو القرصاني للبلدان الأوروبية كان أكثر اندفاعاً

وتنظيماً (Picca, 1911, p.8)، وكان أسرى عمليات القرصنة لدى الطرفين من الخدم المقيدين المغلولين الملزمين بأداء أشق الأعمال وأقساها من ممارسة المهن الزراعية، والحرف والصناعات، والتجديف على ظهور السفن الكبيرة، ونتج من ذلك وجود الأرقاء الأوروبيين يتعذبون في مدن تونس وبجاية واطرابلس، وأرقاء مسلمين يعانون في البلدان الأوروبية، ويحدث من حين إلى آخر تبادل الأرقاء واستخلاصهم بين الطرفين (روسي، 1991م، ص159).

ج- التأثيرات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين:

تُعد التأثيرات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين في مدن المغرب الأدنى الساحلية خلال العصر الحفصي من ضمن المؤثرات الحضارية للبحر المتوسط، وكانت أكثر مدينة وصل إليها المهاجرون الأندلسيين في بلاد المغرب الأدنى خلال العصر الحفصي هي مدينة تونس؛ كونها عاصمة السلطنة الحفصية، ثم يليها مدينة بجاية، ثم مدن إقليم إفريقية الساحلية: (صفاقس، قابس، المهدية، المنستير، سوسة، بنزرت)، ثم مدينة بنونة بإقليم الزاب، وأخيراً مدينة إطرابلس، ويليها مدينتا زليتن ومصراتة بإقليم طرابلس (الوزان، 1983م، ج2، 91).

من أهم المظاهر الحضارية البحر المتوسطية للمهاجرين الأندلسيين في مدينة اطرابلس عاصمة إقليم طرابلس هو ازدهار الزوايا الصوفية بالمدينة، وكانت مدينة اطرابلس قد نزح إليها أكثر عدد من الأندلسيين في إقليم طرابلس، وبعضهم انتقل إلى الاستقرار الدائم في مدينتي زليتن ومصراتة، بعد أن استقروا ردحاً من الزمن في عاصمة الإقليم، مدينة اطرابلس، (العمري، د.ت، 9)، حيث كان لهؤلاء المهاجرين الأندلسيين دور كبير في نشر التعاليم والعلوم والفلسفات الصوفية بين عامة الناس في مدن اطرابلس، وزليتن، ومصراتة، وكذلك عن طريق هذه الزوايا.

- زو ايا مدينة اطر ابلس:

الزاوية اكبيرة، الزاوية الصغيرة، وزاوية ابن الإمام، وزاوية الشعاب، الزاوية الزروقية في مدينة مصراته، والزاوية العيساوية في مدينة زليتن.

تمكّن المهاجرون من النشر بين الناس في مدن طرابلس وزليتن، ومصراته في مجال الأدب والموسيقى، شعر الموشحات، وشعر الأزجال، وهي أشعار تتضمن أناشيد وأوراد دينية، ومدائح نبوية ذات البيت الذي يتكون من شطر واحد، وذات أوزان ومقامات أدبية خفيفة، تُلحن وتُغنى بأوزان ومقامات

موسيقية خفيفة تُعرف باسم موسيقا المألوف.

كما لعبت هذه الزوايا أدوارًا أخرى اجتماعية من (أداء العبادات، وتلقي التعليم، وإيواء، وإطعام الفقراء من المهاجرين الأندلسيين).

من التأثيرات الحضارية للمهاجرين الأندلسيين في مجال الأنشطة الاقتصادية في المدن الساحلية الطرابلسية التي استقروا بهو هو رسم المناطق الزراعية وتطويرها، من إنشاء المراكز الزراعية للزراعة البعلية في مدينتي زليتن ومصراتة من زراعة الحبوب (القمح، الشعير)، والزيتون، والتين البعلي، والزراعة السقوية لبساتين الحمضيات والكروم، والزيتون، والسقوية للخضروات الطازجة والورقية والجافة، والنباتات العطرية والزينة، في مناطق جنزور، وتاجوراء، وسوق الجمعة بضواحي مدينة طرابلس.

كانت التأثيرات الأندلسية في النشاط البحري يظهر في ممارسة المهاجرين ونشرهم لحرفة الصيد البحري في المنطقة الممتدة من مصراته شرقاً إلى بلدة جنزور غرباً، وفي مجال التجارة البحرية استفادت موانئ طرابلس وزليتن ومصراتة من خبرة الأندلسيين وعلاقاتهم التجارية مع المدن والبلدان الأوروبية البحرية، فتمكنت هذه المدن التجارية عن طريق هؤلاء الخبراء الأندلسيين من إبرام عقود البيع والشراء، وعقود الشراكة مع التجار الأوروبيين والقيام بالوساطة في المعاملات التجارية، وتسيير وصيانة السفن التجارية (الرجيبي، 2009م، 100-98؛ 217-207).

أما من الناحية العمرانية فقد كان تأثير المهاجرين الأندلسين واضحاً في مجال العمران بإقليم طرابلس، في مدينة طرابلس، حيث كان من عادات الأندلسيين طلاء جدران الدور والمنشآت، والمساكن، والأسواق، والأسوار بالجير الأبيض وإحاطة هذه العمائر بالبساتين الخضراء، وكان هذا التأثير الأندلسي ظاهرًا بشكل كبير في مدينة طرابلس التي كانت تُعرف باسم (المدينة البيضاء) (الرجيبي، 2009، ص136-135؛ 147).

كذلك ظهر التأثير الأندلسي واضحاً في الميدان الحرفي والصناعي بمدينة طرابلس، حيثاشتهر حي العمروس بمنطقة سوق الجمعة، ومركز مدينة طرابلس بصناعات أندلسية: (من صناعة منسوجات وملابس الحرير والأصواف، والكتان، والقطن، والمنسوجات والملابس المزركشة، والحُلي والمصوغات الذهبية، والأواني الفخارية والسعفية، والنحاسية، والفضية)، واشتهرت منطقة الميناء وباب البحر

بصناعة وصيانة السفن (الرجيبي، 2009، ص151-150؛ 171).

المبحث الثاني

المظاهر الحضارية المحلية

أ- المكونات الاجتماعية السُّليمية – البربرية:

هاجرت قبائل بني سُليم إلى إقليم طرابلس في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، واستمرت هذه القبائل في الاستقرار والتواجد في الإقليم لمدة ثلاثة قرون، كانت كافية لتحولهم من أطوار البداوة وممارسة حرفة الرعي إلى أطوار حياة الاستقرار وممارسة حرفتي التجارة والصناعة، من ثَمَّ الدخول في عملية الاختلاط والاندماج مع البربر الذين استكملوا خلال العصر الحفصي عمليات تعريبهم، وأحبوا اللغة العربية وآدابها، ونبغ منهم جماعة من أهل العلم والأدب والشعر (القيراوني، 1968، 134)، وعملية التعريب وغيرها من الظواهر التي أحدثت تضاءلا للاختلاف العرقي بين العرب السُّليميين والبربر وبذلك اختلاطهم واندماجهم، ومن هذه الظواهر تلاشي الاختلاف الديني المذهبي من خلال اندماج الأيديولوجية الخارجية الأباضية مع الأيديولوجية السنية المالكية، وبذلك ومن خلال تلاشي الاختلاف الثقافي عن طريق عملية التعريب، وأيضاً تلاشي الاختلاف الديني عن طريق عملية الاندماج المذهبي بين الأباضية والمالكية، تهيئة عملية الاختلاط والاندماج العرقي بين العرب السُّليميين والبربر.

تمكن العرب السُّليميين ببطونهم: (بني لبيد، بني عوف، بني دباب، بني زغب) (نجم، 2011م، 50) منذ القرن الحادي عشر الميلادي بتدفقها البشري الهائل من تمزيق الاختلافات العرقية والمذهبي والثقافية بين العرب والبربر (الزاوي، 1985، ص417، 58، 69)، وتُوج هذا الاختراق من قِبل بني سُّليم لتجمعات البربر في إقليم طرابلس (نجم، 2011، 77) خلال فترة بني حفص، ولعب الدور الحاسم في تعريب البربر، حيث هاجر مع أوائل العصر الحفصي معظم بطني بني سُّليم (بني عوف، بني لبيد) أراضي إقليم طرابلس، كما هاجر أيضاً بنو هلال أراضي إقليم طرابلس نحو أراضٍ إفريقية، أي أن معظم بطون بني هلال: (بني الأثبج، بني عُدي، بني زغبة، بني رياح)، هاجرت من إقليم طرابلس إلى أراضي إفريقية والمغرب، وبقيت بعض الجيوب منها في طرابلس، أيضاً هاجرت معظم بطني: (بني عوف، بني لبيد) إلى إفريقية والمغرب وبقيت العديد من جيوب هذين البطنين في إقليم طرابلس

واستقرت الأغلبية الساحقة من بطني (بني دباب، بني زغب) في إقليم طرابلس، حيث استقر بني زغب في الجهات الجنوبية في إقليم طرابلس، حيث مناطق ومدن: (سبهي، جرمة، عين الفرس، مغمداس، تاجرافت)، بينما استقر بني دباب في الجهات الشمالية لإقليم طرابلس في المنطقة الممتدة من نواحي برقة وسرت شرقاً إلى نواحي خليج قابس وصفاقس غرباً (ابن خلدون، 2007م، ج7، 39، 44؛ كمالي، 1977م، 37؛ البرغوثي، 1972، ج2، 135).

أدت هجرات بني سُليم، مع ظواهر تطور تعرب البربر ثقافياً وتلاشي الاختلاف الديني إلى اندماج العرقين العرب السُليميين – البربر، المغاربة من خلال التزواج والتصاهر، والاختلاط بوقوع التجاور والتحالف بين البطون والقبائل السُليمية وبعض جيوب بني هلال مع بطون وقبائل البربر المغاربة، والعرب البلديين (نجم، 2011، ص77)؛ مما ترتب عليه تكوَّن مجتمع إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي من أربعة عناصر رئيسة، أثرت في تاريخ إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي، وهذه العناصر الأربعة هي:

الجواري: يتكون هذا العنصر من:

أولاً: الجواري الذين يرجعون في نسبهم إلى جارية بن وشاح بن دباب بن بهثة بن سُليم.

ثانياً: القبائل البربرية المغربية (الهوارية، اللواتية، الزناتية).

ثالثاً: بنو صهب بن جابر بن دباب بن سُليم، وبنو حمدان (الحمادية) بن جابر بن دباب بن سُليم بنو عمور بن وشاح بن دباب بن سُليم، بنو جواب (الجواوبة) بن وشاح بن دباب بن سُليم.

رابعاً: الأرمن والأكراد والتركمان (عباس، 1967، ج2، 400-396).

سكن هذا العنصر طرابلس، وجنزور، وتاجوراء.

المحاميد: يتكون نهذا العنصر من:

أولاً: المحاميد: هم بنو محمود بن طوب بن بقية بن وشاح بن عامر بن دباب بن سُليم (الباني، 2006م، 378-372).

ثانياً: القبائل البربرية المغربية: (الهوارية، اللواتية، الزناتية) (الززاوي، 1968، ص152-151).

سكنوا ما بين قابس وجبل نفوسة (السباني، 2006، 378-372)

بنو سليمان: يتكون هذا العنصر من:

أولاً: من بني سليمان بن كعب بن عامر بن دباب بن سُّليم.

ثانياً: القبائل البربرية المغربية: (اللواتية، الهوارية، الزناتية الصنهاجية) (كحالة، 1968م، 32).

سكنوا المنطقة الواقعة ما بين سرت ومصراتة (البرغوثي، 1972م، 400).

بنو سالم: يتكون هذا العنصر من:

أولاً: بنو سالم بن كعب بن عامر بن دباب بن سليم.

ثانياً: القبائل البربرية المغربية: (اللو اتية، الهوارية، الصنهاجية) (ابن خلدون، 2007، ج7، 39- 44).

-استقروا في المنطقة الممتدة ما بين مصراته، زليتن، مسلاته، غريان (البرغوثي، 1972م، 400).

-أما القبائل البربرية الذين أبوا الاختلاط مع بني سليم مثل قبائل نفوسة، وزناتة (بني يفرن)، وصنهاجة، تراجعوا إلى جبل نفوسة، وغدامس، وتمسكوا بمذهبهم الأباضي (كمالي، 1977م، 225).

وللدلالة على أثر اختلاط القبائل العربية السُّليمية واندماجها القبائلُ البربرية، بشكل سلمي في تكوين مكونات مجتمع إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي، هو تزعم أسرة بني مكي التي تنتمي إلى قبيلة لواته البربرية مكون المحاميد، واستقلالها بحكم مدينة قابس باسم إمارة بني مكي عندولة بني حفص في تونس وإفريقية (كمالي، 1977م، 3، 15، 21، 25، 29، 225).

كما ترتب عن اختلاط عشائر الجواري وعمور، وأولاد سنان بن وشاح بن دباب بن بهثة بن سُّليم مع قبائل هوارة وزناتة وصنهاجة، مكون الجواري الذي تزعمته أسرة بني ثابت الهوارية، الذين تمكنوا من إقامة إمارة مستقلة عن الحفصيين بمدينة طرابلس (عباس، 1967، 204؛ البرغوثي، 1972م، 400).

ب- التنافس المذهبي بين الأباضية والمالكية:

كان للمذهب الأباضي السبق في الانتشار في بلدان المغرب عامة والديار الطرابلسية خاصة (الشكعة، 1987م، 135)، وكسب المذهب أنصار شيعةٍ، خاصة في طرابلس وجبل نفوسة (الطبطبائي، 1994م، ص64-61). انتشر المذهب الأباضي في إقليم طرابلس خلال عشرين سنة (120-100هـ/737-717م) على أيدي أحد أعلام وأئمة الأباضية سلمة بن سعيد في مدينة البصرة الذي قَدِمَ إلى إقليم طرابلس واجتمع مع عاصم السدراتي، وإسماعيل بن أدوار الغدامسي (التليسي، 1991م، ص106)، وداود

القبلي النفزاوي، وعبدالرحمن بن رستم، وأخذوا عنه المذهب الأباضية (العرباوي، 1993م، 35)، وكان وصول سلمة بن سعيد إلى إقليم طرابلس في أوائل القرن الثاني الهجري (المزيني، 1994م، 73)، ثم ذهب الخمسة الذين اجتمع بهم سلمة بن سعيد إلى البصرة للتعمق في التعلم والتفقه في مبادئ الأباضية، ومكثوا في البصرة وتتلمذوا على يد أستاذهم إمام الأباضية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، واستقروا في مدينة البصرة بالمشرق العربي الإسلامي لمدة خمس سنوات، ثم عادوا إلى إقليم طرابلس، وعرفوا باسم حملة العلم، وبفضل حملة العلم هؤلاء تمكن المذهب الأباضي من الانتشار في المغرب العربي الإسلامي العام خلال عشرين سنة، إذ انتشرت هذه الدعوة الأباضية ما بين تلمسان وسرت، وكان المذهب الأباضي منتشر بين سكان طرابلس وإفريقية (تونس الحالية) والمغرب الأوسط (الجزائر)، كما انتشر في العراق، والساحل الشرقي للجزيرة العربية، وعُمَّان (المزيني، 1994م، 72-75).

أما بداية ظهور المذهب المالكي في طرابلس بصفة خاصة والمغرب بصفة عامة، فقد كان مع قدوم علي بن زياد الطرابلسي الذي تتلمذ على يد الإمام مالك بن أنس، حيث رحل إلى المدينة المنورة وحضر مجالس الإمام مالك وسمع منه، ثم عاد إلى إقليم طرابلس، ثم رحل بعد ذلك إلى إقليم إفريقية وسكن مدينة تونس وكون فيها مدرسة للفقه المالكي، وكان أول تلاميذه فيها هم: (يحيى بن يحيى الليثي، وعبد الملك بن حبيب، وأسد بن الفرات، وعبد الرحمن بن زياد (أبي العربي، 1968م، 253؛ ابن الأثير، 1965م، ج3، 141).

رحل بعد ذلك إلى المشرق للالتحاق بمدارس الفقه المالكي في العراق، ومصر، والشام، ورجعوا إلى إفريقية واسسوا بها مدرسة فقهية مالكية في مدينة القيروان، وبذلك أصبحت بإفريقية مدرستان للفقه المالكي إحداهما أسسها ابن زياد الطرابلسي في مدينة تونس، والأخرى أسسها تلاميذه في مدينة تونس حيث لعبتا دورا كبيرا في نشر المذهب المالكي في المغربين الأوسط والأقصى خلال القرون الثاني، الثالث، الرابع، الخامس للهجرة.

الجدير بالذكر أن المذهب المالكي وأهل السنة والجماعة نُقل إلى طرابلس وإفريقية والمغرب بعد دخول مذهب الخوارج الأباضي لهذه الأقاليم، وذلك من خلال دخول المذهب الأباضي أواخر القرن الأول الهجري، والمذهب المالكي السني خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث بدأ التنافس

السلمي بين المذهبين منذ القرن الرابع الهجري، هذا التنافس جعل من الاثنين يتحصنان بالعلوم العربية الإسلامية، ويتسلحان باللغة العربية؛ لتقوية حجتهم حتى يتمكنا من الحصول على أنصار من عامة الناس في أقاليم طرابلس، وإفريقية والمغرب (نجم، 2011م، 67-65)، كما تحالف وتوافق فقهاء المالكية وعلماؤها ، وأئمة الأباضية وعلماؤها في أقاليم طرابلس وإفريقية والمغرب في صراعهما المذهبي والفكري والعقائدي مع الطائفة الإسماعيلية الشيعية، وسبب هذا التنافس السلمي والتحالف بين المالكية والأباضية ضد فرق الشيعة، هو التوافق بينهما في الأصول والمرجعيات، واختلافهما في ذلك مع فرق الشيعة، وجاء الاختلاف بينهما في الفروع حول البراءة، والحاكمية، وبعض المسائل الفقهية.

مكن هذا التنافس السلمي بين المذهبين الأباضي الخارجي، والمالكي السني من عملية التعريب للبربر لغوياً، وثقافياً، وأدى تحالف المالكية – الأباضية إلى الاندماج في النهاية خلال العصر الحفصي (9-7هـ/15-13م) بين المذهبين واندماجهما كذلك مع المذهب الظاهري الموجدي المتفق معهما في الأصول والمرجعيات، والمختلف معهما في الفروع في إقليمي طرابلس وإفريقية، وساعد كل ذلك على الاختلاط والاندماج بين العرب السُّليميين – البربر.

ج- الزوايا الصوفية المحلية:

نهدف من وراء استخدام مصطلح الزوايا الصوفية المحلية تمييزها عن الزوايا الصوفية في مدينة طرابلس (الزاوية الصغيرة، الزاوية الكبيرة، زاوية الشعاب، زاوية ابن الإمام، زاوية بيت المال، زاوية الحطاب)، وهي زوايا أحياها المهاجرون الأندلسيون، وتُسمى زوايا المألوف والموشحات للدور الكبير الذي قامت به في نشر الفنون والآداب الأندلسية من أشعار الأزجال والموشحات، وموسيقا المألوف (حسن، 1999م، 654-653).

أما الزوايا المحلية، فهي الزوايا التي أسسها العرب البلديون والبربر، وأعيان العرب السليميين، والحجاج المغاربة الذين استقروا بهذه الزوايا بعد رجوعهم من الأراضي المقدسة الحجازية، وهذه الزوايا تموضعت وانتشرت في المنطقة الممتدة غربي مدينة طرابلس، وإقليم طرابلس من بلدة جنزور شرقاً، حتى مدينة صبراتة غرباً، وهذه الزوايا هي: زاوية أولاد سنان، زاوية أولاد عمور، زاوية أبو عيسى (أوغسطيني، 1978م، ج1، 40).

أسهمت هذه الزوايا في استقرار الأوضاع الاجتماعية، حيث تحقق بواسطة هذه الزوايا حسم عمليات التعريب اللغوي والثقافي للبربر، وتعزيز السلم الاجتماعي بين العرب – البربر، ثم إيجاد نوع من التوافق والتحالف، من ثَمَّ الاندماج والاختلاط بين القبائل العربية السُّليمية والقبائل البربرية، ثم إيجاد نوعٍ من الاندماج للتجمعات البدوية المقيمين حول المدن مع سكان هذه المدن، واكتساب أهل البادية من خلال هذه العملية صفة التمدن، والتقليل من حدة التطاحن والتعصب القبلي الذي كان سائداً قبل ذلك في إقليم طرابلس؛ الأمر الذي أدى إلى الهدوء والاستقرار في إقليم طرابلس (حسن، 1999، 653-654).

تحولت هذه الزوايا إلى مزارات محلية تُقام فيها تجمعات الناس والتعارف بينهم، يتبادل فيها بين الناس السلع التجارية، والأفكار والعادات والتقاليد الاجتماعية العربية والبربرية، كما تُقام في مواسم المزارات للزوايا الصوفية المحلية ندوات، ومحاورات، ونقاشات يتم من خلالها التعريف للناس بالإرث الحضاري والثقافي (الزاوي، 1968م، 151-150؛ برانشفيك، 1988، ج2، 246؛ إدريس، 2004م، 304) من علوم وفلسفات، ونظريات صوفية وأصول عقائدية، وفكرية، وأصول، وفروع فقهية مالكية.

د- ضوابط فقهاء المالكية وشيوخ الزوايا الصوفية الاجتماعية والأخلاقية:

تتمثل في الضوابط الفقهية والأخلاقية التي فرضها فقهاء المالكية وشيوخ الصوفية على مجتمع إقليم طرابلس، حيث قاموا بدور كبير في تجميع القبائل السُّليمية وبقايا قبائل بني هلال، وبقايا عشائر بني لبيد، وبني عوف السُّليميين، والقبائل البربرية المنشقة التي ضاعت بين ثورات المغامرين المغاربة والأندلسيين ضد الدولة الحفصية في إقليم طرابلس، وغرس المفهوم الفقهي – السياسي الشرعي لدى عناصر هذه القبائل المتجسد في مبدأ طاعة أولي الأمر، كما استفادت الدولة الحفصية من فئة فقهاء المالكية وشيوخ الزوايا الصوفية في التوفيق بين القبائل والتقليل من خلافاتها (التليسي، 1991م، 58؛ أوغسطيني، 1975م، ج2، 42).

كان لفقهاء المالكية وشيوخ الصوفية أكبر تأثير في مدينة إطرابلس، خاصة أن أهلها أصبحوا تحت تأثير تحولات اقتصاديات البحر المتوسط من ممارسات حرف التجارة والصناعات مسالمين بعيدين عن الاشتغال بالحروب والاشتراك في الثورات (الحسناوي، 1994م، 24-23).

كما لعب فقهاء المالكية وشيوخ الصوفية أدوارا كبيرة في البلدان والمناطق الريفية والبدوية بإقليم طرابلس بتهذيب أخلاقيات سكانها بعدم ممارسة الحرابة (قطع الطريق) في الاعتداء على الغرباء وعابري السبيل، وعناصر القوافل التجارية، وقوافل ركب الحجاج المغاربة والأندلسيين، بل إكرام من يحل ببلدانهم منهم ووفاء حقوقهم (التجاني، 1958م، 257).

كذلك كان لكل من فقهاء المالكية وشيوخ الصوفية إلى جانب تمسك أهالي القبائل الطرابلسية بالعادات والتقاليد الاجتماعية المحافظة الصارمة في فرض ضوابط دينية وأخلاقية، اضطُرّت إلى وضع حدود مراقبة وقيود على تصرفات أفراد سكان إقليم طرابلس، وإبعادهم عن الأنشطة المحرمة، غير أن ذلك لم يمنع بعض الناس من تخطي هذه الحدود والقيود وممارسة الأنشطة المحرمة من شرب الخمر، وتعاطي المومسات والبغايا ومعاشرتهن في فنادق الجاليات التجارية الأوروبية في مدينة اطرابلس (Abdul Wahab, p.116).

أيضاً فرض فقهاء المالكية وشيوخ الزوايا الصوفية قيودا وضوابطَ فقهية على تجار إقليم طرابلس من خلال فتاوى تصدر منهم بعدم تصدير سلع الحديد، والخشب، ومواد خام البارود إلى دول وممالك ومدن أوروبا النصرانية، أي المواد الخام الأولية القابلة لتحويلها صناعياً إلى أسلحة قتالية نارية وبيضاء، كما أصدروا فتاوى تمنع تجار طرابلس من تصدير القمح والمواد الغذائية إلى دول أوروبا النصرانية وممالكها ومدنها أثناء فترات الجذب والجفاف (التجاني، 1981م، 258؛ برانشفيك، 1981م، ج2، 273؛ رايت، 1972م، 87).

الخاتمة

بعد دراسة المظاهر الحضارية البحر المتوسطية والمظاهر الحضارية المحلية في إقليم طرابلس خلال العصر الحفصي، فقد ترتب على تمتع إقليم طرابلس بالحماية الحفصية، الذي مكنهم من الانصراف إلى ممارسة التجارة، وخاصة التجارة البحرية، حيث أُنشئت في مدينة طرابلس الأحياء والفنادق والوكالات التجارية الخاصة بالأوروبيين، نتيجة لازدهار العلاقات التجارية والتبادل التجاري بين إقليم طرابلس ودول أوروبا ومدنها خلال العصر الحفصي، كما أصبح إقليم طرابلس من أكثر مناطق المغرب الأدنى خلال العصر الحفصي نشاطات في عمليات القرصنة والاستفادة منها، وتأتي في المرتبة الثالثة من ضمن المؤثرات الحضارية البحر المتوسطية خلال العصر الحفصي، هو وصول المهاجرين الأندلسيين إلى منطقة طرابلس، وتأثرهم الحضاري فيه في المجالات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والأدبية، والفنية، والدينية.

تلي المؤثرات الحضارية البحر المتوسطية، المؤثرات الحضارية المحلية، المتمثلة في عملية الاختلاط والاندماج بين العرب السُّليميين الذين انتقلوا من طور البداوة الرعاة الرُحل إلى طور الاستقرار الريفي والمدني، في المقابل استكمال عمليات تعريب البربر ثقافياً واجتماعياً، وعمليتي تحول العرب السُّليميين إلى طور الاستقرار الريفي والمدني، وتعريب البربر هيّأت إلى اختلاط العرب السُّليميين والبربر واندماجهم، وتكون المجتمع الطرابلسي من مكونات مختلطة للمحاميد، والجواري الوشاحيين، وأولاد سالم، وأولاد سليمان الكعوب، ومما شكل هوية مجتمع إقليم طرابلس أيضاً خلال العصر الحفصي انتشار المذهب المالكي وهيمنته واندماج أيديولوجية المذهب المالكي السنية مع المذهب الخارجي الأباضي، ونشأت الزوايا الصوفية المحلية ذات العقائد والأفكار، والفقه السني المالكي، التي لعبت دورا كبيرا في تعزيز السلم الاجتماعي، وإيجاد التوافق بين العرب – البربر، وأيضاً إيجاد نوع من الاندماج بين التجمعات البدوية مع سكان المدن والتقليل من التطاحن والتعصب القبلي، كما فرض فقهاء المالكية وشيوخ الطرق الصوفية ضوابط أخلاقية وفقهية، تمكنوا من خلالها إجبار العرب والبربر على الولاء للدولة الحفصية، والتوفيق بين القبائل العربية والبربرية، وتهذيب أخلاقيات هذه القبائل بعدم ممارسة الحرابة مع الغرباء، وعابري السبيل، وركاب الحجاج بل وإكرامهم وإيفاء

حقوقهم.

قائمة المصادروالمراجع

أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت: 630هـ):

الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت، 1965م).

البلوي، خالد بن عيسى:

2. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق – تحقيق: الحسن السائح، مطبعة الفضالة (المحمدية، 1965م).

3. التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد (ت: 707هـ):

4. رحلة التجاني – تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرسمية (تونس، 1958م).

5. ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي التونسي (ت: 808هـ):

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مقدم هذه الطبعة: عُبَادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة، 2007م).

6. ابن خليل، عبدالباسط:

الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، نُشر ضمن

Brunschvig, Deuxrecits de voyage, Ed. Larose, Paris, 1936.

7. العبدري، ابو عبدالله محمد-

-رحلة العبدري – تحقيق: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، (الرباط، 1968م)

-أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت: 333هـ)

-طبقات علماء إفريقية، د.ن، (د.م، د.ت).

-العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله-

وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة- تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، د.ت.

8. ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب:

الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية – تحقيق: محمد الشاذلي وعبدالمجيد التركي، د.ن، (تونس، 1968م).

ثانياً: المراجع العربية:

9. البرغوثي، عبداللطيف محمود:

- تاريخ ليبيا الإسلامي (من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني)، منشورات الجامعة الليبية ودار صادر (بيروت، 1972م).

10. التليسي، خليفة:

- معجم سكان ليبيا، دار الربان، (ليبيا، 1991م).

- حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة، الدار العربية للكتاب (ليبيا، 1997م).

11. حسن، محمد:

- المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، منشورات جامعة تونس، (تونس، 1999م).

12. الحسناوي، محمد حبيب وداعة:

- وثائق دولة أولاد محمد بفزان، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 1994م).

13. حمودة، إدريس مفتاح عبدالله:

- إمارة بني ثابت في طرابلس الغرب، دار مكتبة بن حمودة للنشر والتوزيع، (زليتن، 2004م).

14. الرجيبي، نزيهة أبو القاسم:

- الهجرات الأندلسية وأثرها على منطقتي تونس وليبيا في الفترة من نهاية القرن الثالث الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، (طرابلس، 2009م).

15. الزاوي، الطاهر أحمد:

- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار ذارف المحدودة، (لندن، 1985م).

- معجم البلدان الليبية، دار مكتبة النور، (طرابلس، 1968م).

16. السباني، صالح الصادق:

ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 2005م).

17. الطبطبائي، وليد مساعد:

الأباضية تاريخاً وعقيدة، دار التجديد، (الكويت، 1994م).

18. عباس، إحسان:

تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، (بنغازي، 1967م).

19. العرباوي، محمد مختار:

البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، (المغرب، 1993م).

20. كحالة، عمر رضا:

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار مكتبة الأندلس، (بنغازي، 1968م).

21. المزيني، صالح مصطفى مفتاح:

ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي، 1994م).

22. نجم، فرج عبدالعزيز:

القبيلة والإسلام والدولة، دار برنيتشي للكتاب ودار الكتب الوطنية (بنغازي، د.ت).

ثالثاً: المراجع المعربة:

1. برانشفيك، روبار.

تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من (القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي)، - ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1988م).

2. دي أوغسطيني، هنريكو:

سكان ليبيا (قسم خاص بطرابلس الغرب) – تعريب: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب (ليبيا، 1978م).

3. رايت، جون.

تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور – تعريب: عبدالحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني (طرابلس، 1972م).

4. رُوسي، إتوري.

ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م – ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، (طرابلس، 1991م).

5. كمالي، إسماعيل.

سكان طرابلس الغرب – ترجمة: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، (طرابلس، 1977م).

6. مانغروفي، كاميللو.

العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا (تاريخ البحرية الليبية) – ترجمة: إبراهيم المهدوي، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي، د.ت).

7. الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي.

وصف أفريقيا – ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1982م).

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1. H. H. Abdul Wahab.

2. Le developpement de la usigue arabe, R. T., Mars.

3. P. Picca.

4. L'Italia e la Tripolitania attraverso la storia, in Nuova Antolosia, 1911.